

# سورة النجم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة السورة

مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة: إلا آية منها وهي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ [النجم: ٣٢] الآية . وقيل: اثنتان وستون آية . وقيل: إن السورة كلها مدنية . والصحيح أنها مكية لما روى ابن مسعود أنه قال: هي أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة (١) . وفي البخاري عن ابن عباس أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس (٢) ، وعن عبد الله أن النبي ﷺ قرأ «سورة النجم» فسجد لها، فما بقي أحد من القوم إلا سجد؛ فأخذ رجل من القوم كفا من حصباء أو تراب فرفعه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا . قال عبد الله: فلقد رأيت بعد قتل كافرا، مستفق عليه . الرجل يقال له: أمية بن خلف (٣) . وفي «الصحيحين» عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قرأ على النبي ﷺ سورة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ فلم يسجد (٤) . وقد مضى في آخر «الأعراف» القول في هذا (٥) ، والحمد لله .

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ ﴿ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴾ ﴿ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴾ ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: معنى ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾ والثريا إذا سقطت مع الفجر (٦)؛ والعرب تسمى الثريا نجما وإن كانت في العدد نجوما؛ يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم . وفي «الشفاء» للقاضي عياض: أن النبي ﷺ كان يرى في الثريا أحد عشر نجما (٧) . وعن مجاهد أيضا: أن المعنى والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل

(١) صحيح : انظر التالي وما بعده .

(٢) صحيح : البخاري (١٠٧١) في سجود القرآن، والترمذي (٥٧٥) في الصلاة .

(٣) متفق عليه : البخاري (١٠٦٧) في سجود القرآن، ومسلم (٥٧٦) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٤) متفق عليه : البخاري في (١٠٦٧) في سجود القرآن ، ومسلم (٥٧٧) في المساجد ومواضع الصلاة .

(٥) عند الآية (١٠٦) .

(٦) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٤٣ / ٢٧) في تفسيره، وعبد الرزاق في تفسيره (٢٩٣٠) ، وضعيف إلى ابن

عباس: السابق (٤٣ / ٢٧) من طريق العوفي، وتفسير ابن أبي حاتم (٢٥٧ / ١٢) ، ورواه البيهقي (٧ /

٣٩٧) في تفسيره من هذا الطريق ومن طريق علي بن أبي طلحة منقطعاً .

(٧) ضعيف : القاضي عياض في الشفاء (١ / ٨٩) بصيغة التمريض، وقال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج

أحاديث الشفاء (ص ٤٦) : « لم أجده » .

نجوماً<sup>(١)</sup>. وقاله الفراء. وعنه أيضاً: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن قال أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمع؛ كقول الراعي:

قَبَّاتٌ تَعُدُّ النُّجُومَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ      سَرِيعَ بَأْيَدِي الْأَكْلِينَ جَمُودَهَا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَحْسَنُ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ الثَّرِيًّا      وَالثَّرِيًّا فِي الْأَرْضِ زَيْنُ النِّسَاءِ

وقال الحسن أيضاً: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة<sup>(٢)</sup>. وقال السدي: إن النجم هاهنا الزهرة لأن قومها من العرب كانوا يعبدونها<sup>(٣)</sup>. وقيل: المراد به النجوم التي تُرْجَمُ بِهَا الشياطين؛ وسببه: أن الله تعالى لما أراد بعث محمد ﷺ رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده، فذعر أكثر العرب منها، وفزعوا إلى كاهن كان لهم ضريفاً، كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال: انظروا البروج الاثني عشر فإن انقضى منها شيء فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقض منها شيء فيسحدر في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك؛ فلما بعث رسول الله ﷺ كان هو الأمر العظيم الذي استشعروه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ إِذَا هَوَىٰ﴾ أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوة التي حدثت. وقيل: النجم هنا هو الثبت الذي ليس له ساق، و﴿هَوَىٰ﴾ أي سقط على الأرض. وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: ﴿وَالنُّجُومُ﴾ يعني محمداً ﷺ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا نزل من السماء ليلة المعراج<sup>(٤)</sup>. وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أن عتبة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله ﷺ أراد الخروج إلى الشام فقال: لأتبن محمداً فلاؤذينه، فاتاه فقال: يا محمد أنا كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دننا فتدلى. ثم نفل في وجه رسول الله ﷺ، ورد عليه ابنتهم وطلقها؛ فقال رسول الله ﷺ: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» وكان أبو طالب حاضراً فوجم<sup>(٥)</sup> لها وقال: ما كان أغناك يابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: إن هذه أرض مُسَبَّعة. فقال أبو لهب لأصحابه: أغثونا يا معشر قريش هذه الليلة! فإني أخاف على ابني من دعوة محمد؛ فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله<sup>(٦)</sup>. وقال حسان:

مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَىٰ أَهْلِهِ      فَمَا أَكْبَلُ السَّبْعَ بِالرَّاجِعِ .

وأصل النجم الطلوع؛ يقال: نجم السن ونجم فلان ببلاد كذا أي خرج على السلطان. والهوي

(١) ضعيف: الطبري في تفسيره (٤٣/٢٧).

قلت: وهو معنى بعيد جداً، ولا يصح لعدم وجود سند له من الروحي.

(٢) زاد المسير (٥/٤٣٧) لابن الجوزي، وفتح القدير (٧/٦٦) للشوكاني.

(٤) البغوي (٧/٤٠٠) في تفسيره.

(٥) الواجم: من أسكنه الهم وعلته الكتابة. النهاية (٥/١٥٧) لابن الأثير.

(٦) بهذا السياق عند الزمخشري (٤/٣٧) في الكشف، وخرجه أبو نعيم (٣/٣٨) عن طاووس مرسلأً، والطبري

(٢٧/٤٣) في تفسيره مرسلأً عن قتادة، وبهذا السياق رواه ابن كثير (٧/٣٤٢) في تفسيره وعزاه لابن عساکر.

النزول والسقوط؛ يقال: هَوَى يَهْوِي هَوِيًا مثل مَضَى يَمْضِي مَضِيًّا؛ قال زهير:  
فَشَحَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ وَهِيَ تَهْوِي هَوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ  
وقال آخر:

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيًا  
خَطَرَتْ خَطْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكِّ رَاكٍ وَهَنَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مَضِيًّا

الأصمعي: هَوَى بِالْفَتْحِ يَهْوِي هَوِيًا أَي سَقَطَ إِلَى أَسْفَلٍ. قال: وكذلك أَنهَوَى فِي السَّيْرِ إِذَا مَضَى فِيهِ، وَهَوَى وَانْهَوَى فِيهِ لِفَتَانٍ بِمَعْنَى، وَقَدْ جَمَعَهُمَا الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:  
وَكَمْ مَنَزَلٌ لَوْلَايَ طَحَّتْ كَمَا هَوَى بِأَجْرَامِهِ مِنْ قُلَّةِ النَّيِّبِ مَنَهْوِي  
ويقال فِي الْحُبِّ: هَوَى بِالْكَسْرِ يَهْوَى هَوَى؛ أَي أَحَبَّ.

قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا جواب القسم؛ أَي مَا ضَلَّ مُحَمَّدٌ ﷺ عَنْ الْحَقِّ وَمَا حَادَ عَنْهُ. ﴿وَمَا غَوَى﴾ الغي ضد الرشد أَي مَا صَارَ غَاوِيًا. وقيل: أَي مَا تَكَلَّمَ بِالْبَاطِلِ. وقيل: أَي مَا خَابَ مِمَّا طَلَبَ، وَالْغِي الْخِيْبَةُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

فَمَنْ يَلْتَقِ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوَلَا يَعْذَمُ عَلَى الْغَيِّ لَانِمَا

أَي مِنْ خَابَ فِي طَلْبِهِ لِأَمَةِ النَّاسِ. ثم يجوز أن يكون هذا إخبارًا عما بعد الرُحَى. ويجوز أن يكون إخبارًا عن أحواله على التعميم؛ أَي كَانَ أَبَدًا مُوَحَّدًا لِلَّهِ. وهو الصحيح على ما بيناه في «الشورى» عند قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ (٢) **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** (٤).

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه (١) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ إليه. وقيل: ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ أَي بِالْهَوَى؛ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أَي فَاسْأَلْ عَنْهُ. النحاس: قول قتادة أولى، وتكون ﴿عَنِ﴾ على بابها، أَي مَا يَخْرُجُ نَطْقُهُ عَنْ رَأْيِهِ، إِنَّمَا هُوَ بَوْحِي مِنَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَهُ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

الثانية: قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله ﷺ الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل (٢). وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدم بن معدي كرب في ذلك والحمد لله. قال السجستاني: إن شئت أبدلت ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ من ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ قال ابن الأنباري: وهذا غلط؛ لأن ﴿إِنْ﴾ الخفيفة لا تكون مبدلة من ﴿مَا﴾ الدليل على هذا: أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين؛ سوى الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل (٣)، ويكون قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٤٤/٢٧).

(٢) سبق هذا في مقدمة الكتاب.

(٣) قول الحسن وفتادة وأبي العالية والربيع وغيرهم عند الطبري (٤٥/٢٧) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/

٢٥٧) في تفسيره، والبغوي (٧/٤٠٠) في تفسيره.

ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى؛ وأصله من شدة قتل الحبل، كأنه استمر به القتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحبل. ثم قال: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني الله عز وجل؛ أي استوى على العرش. روي معناه عن الحسن<sup>(١)</sup>. وقال الربيع بن أنس والفراء: ﴿فَاسْتَوَى﴾ وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ أي استوى جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وهذا على العطف على المضمرة المرفوعة بـ ﴿هُوَ﴾. وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهروا كناية المعطوف عليه؛ فيقولون: استوى هو وفلان؛ وقلما يقولون: استوى وفلان؛ وأنشد الفراء:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّبْعَ يَصْلُبُ عُوْدَهُ      وَلَا يَسْتَوِي وَالْخُرُوجُ الْمُتَقَصِّفُ .

أي لا يستوي هو والخروج؛ ونظير هذا: ﴿أَنْذَا كُنَّا تَرَابًا وَأَبَاؤُنَا﴾ [النمل: ٦٧] والمعنى أنذا كنا ترابا نحن وأباؤنا. ومعنى الآية: استوى جبريل هو ومحمد عليهما السلام ليلة الإسراء بالافق الأعلى. وأجاز العطف على الضمير لثلا يتكرر. وأنكر ذلك الزجاج إلا في ضرورة الشعر. وقيل: المعنى فاستوى جبريل بالافق الأعلى، وهو أجود. وإذا كان المستوي جبريل فمعنى ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ في وصفه ذو منطق حسن؛ قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: خَلَقَ طَوِيلَ حَسَنٍ<sup>(٣)</sup>. وقيل: معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات؛ ومنه قول النبي ﷺ: «لَا تَحُلْ الصَّدَقَةَ لَغْنِي وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِي»<sup>(٤)</sup>. وقال امرؤ القيس:

كُنْتُ فِيهِمْ أَبَدًا ذَا حِيلَةٍ      مُحْكَمَ الْمِرَّةِ مَأْمُونُ الْعُقْدِ

وقد قيل: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة. قال الكلبي: وكان من شدة جبريل عليه السلام: أنه اقتلع مدائن قوم لوط من الأرض السفلى، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكنتهم ثم قلبها. وكان من شدته أيضا: أنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل في الهند. وكان من شدته: صيحته بشمود في عددهم وكثرتهم، فأصبحوا جائمين خامدين. وكان من شدته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف. وقال قطرب: تقول العرب لكل جزل الرأي حصيف العقل: ذو مرة. قال الشاعر:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لِقَاكُمْ ذَا مِرَّةٍ      عِنْدِي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله: أن الله ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله. قال الجوهري: والمرة إحدى الطبائع الأربع والمرة القوة وشدة العقل أيضا. ورجل مريز أي قوي ذو مرة. قال العباس ابن مرداس:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدِرِيهِ      وَحَشَوُ ثِيَابِهِ أَسَدٌ مَرِيرٌ

وقال لقيط:

(١) شاذ: وقد سبق.

(٢) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره.

(٣) وصحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره.

(٤) صحيح: أبو داود (١٦٣٤) في الزكاة، والترمذي (٦٥٢) في الزكاة، وصححه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

حتى استمرت على شزر مريته مُرُّ العزيمة لا رتًا ولا ضرعًا  
وقال مجاهد وقتادة: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة<sup>(١)</sup>؛ ومنه قول خفاف بن ندبة:

إني امرؤ ذو مِرَّةٍ فاستبقتني فيما يتوب من الخطوب صليبُ

فالقوة تكون من صفة الله عز وجل، ومن صفة المخلوق. ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني جبريل على ما بينا؛ أي ارتفع وعلا إلى مكان في السماء بعد أن علّم محمداً ﷺ، قاله سعيد بن المسيب وابن جبير<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ﴿فَاسْتَوَى﴾ أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي النبي ﷺ في صورة آدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبي ﷺ أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء؛ فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبي ﷺ بحراء، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبي ﷺ مغشياً عليه. فنزل إليه في صورة آدميين وضمه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه؛ فلما أفاق النبي ﷺ قال:

«يا جبريل، ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة». فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين المشرق والمغرب. فقال: «إن هذا لعظيم»

فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع<sup>(٣)</sup> يعني

العصفور الصغير؛ دليله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وأما في السماء فعند سدة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمداً ﷺ. وقول ثالث: أن معنى

﴿فَاسْتَوَى﴾ أي استوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه. الثاني: في صدر محمد ﷺ حين نزل عليه. وقول رابع أن معنى ﴿فَاسْتَوَى﴾ فاعتدل يعني

محمداً ﷺ. وفيه على هذا وجهان: أحدهما فاعتدل في قوته. الثاني في رسالته. ذكرهما الماوردي. قلت: وعلى الأول يكون تمام الكلام ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾، وعلى الثاني ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾. وقول خامس:

أن معناه فارتفع. وفيه على هذا وجهان: أحدهما: أنه جبريل عليه السلام ارتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفاً. الثاني: أنه النبي ﷺ ارتفع بالمعراج. وقول سادس: ﴿فَاسْتَوَى﴾ يعني الله عز وجل، أي

استوى على العرش على قول الحسن. وقد مضى القول فيه في «الأعراف»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ جملة في موضع الحال، والمعنى فاستوى عالياً، أي استوى

جبريل عالياً على صورته ولم يكن النبي ﷺ قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا. والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس. وكذا قال سفيان:

هو الموضع الذي تطلع منه الشمس<sup>(٥)</sup>. ونحوه عن مجاهد. ويقال: أفقٌ وأفقٌ مثل عُسْرٍ وعُسْرٍ. وقد

(١) صحيح إلهما: الطبري (٢٧/ ٤٥) في تفسيره، وابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره.

(٢) انظر: البغوي بنحوه (٧/ ٤٠١) في تفسيره.

(٣) ضعيف: وقد رواه ابن المبارك مرسلاً في الزهد (١/ ٧٤) عن ابن شهاب الزهري - رحمه الله، وقد ضعفه

بسبب إرساله، وإن كان حسناً إلى الزهري.

(٤) عند الآية (٥٤) من سورة الأعراف.

(٥) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧/ ٤٦) في تفسيره.

مضى في «حم السجدة (١)». وقرس أفق بالضم أي رائع وكذلك الأثني؛ قال الشاعر:

أرجلُ لمّتي وأجرُ ذيلي  
وتحمّلُ شكتي أفقُ كميّت

وقيل: ﴿وهو﴾ أي النبي ﷺ ﴿بالأفق الأعلى﴾ يعني ليلة الإسراء وهذا ضعيف؛ لأنه يقال:

استوى هو وفلان، ولا يقال: استوى وفلان إلا في ضرورة الشعر. والصحيح استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الأعلى على صورته الأصلية؛ لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحب النبي ﷺ أن يراه على صورته الحقيقية، فاستوى في أفق المشرق فعلاً الأفق.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أي دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ﴿فَتَدَلَّى﴾ فنزل على النبي ﷺ بالوحي. المعنى أنه لما رأى النبي ﷺ من عظمته ما رأى، وهاله ذلك رده الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبي ﷺ بالوحي، وفلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ يعني أوحى الله إلى جبريل وكان جبريل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم (٢).

وعن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ أن معناه أن الله تبارك وتعالى ﴿دَنَا﴾ من محمد ﷺ ﴿فَتَدَلَّى﴾ (٣). وروى نحوه أنس بن مالك عن النبي ﷺ (٤). والمعنى دنا منه أمره وحكمه.

وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب؛ قال لبيد:

فَتَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ قَافِلًا  
وَعَلَى الْأَرْضِ غَيَابَاتِ الطُّفَلِ

وذهب الفراء إلى أن الفاء في ﴿فَتَدَلَّى﴾ بمعنى الواو، والتقدير: ثم تدلى جبريل عليه السلام و دنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئت، فقلت: فدنا فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني؛ لأن الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك قوله تعالى:

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] المعنى والله أعلم: انشق القمر واقتربت الساعة. وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير أي تدلى فدنا؛ لأن التدلي سبب الدنو. وقال ابن الأنباري: ثم تدلى جبريل أي نزل من السماء فدنا من محمد ﷺ. وقال ابن عباس: تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة

المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه (٥). ومن قال: المعنى فاستوى جبريل ومحمد بالأفق الأعلى قد يقول: ثم دنا محمد من ربه دنو كرامة فتدلى أي هوى للسجود. وهذا قول الضحاك (٦). قال القشيري: وقيل على هذا: تدلى، أي تدلل؛ كقولك: تظني بمعنى تظن، وهذا بعيد؛ لأن الدلال غير مرضي في صفة العبودية.

قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي ﴿كَانَ﴾ محمد من ربه أو من جبريل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي قدر قوسين عربيتين. قال ابن عباس وعطاء والفراء (٧). الزمخشري: فإن قلت كيف تقدير قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾؟ قلت: تقديره: فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه

المضافات كما قال أبو علي في قوله:

وَقَدْ جَعَلْتَنِي مِنْ حَزِيمَةٍ إِنْصِبًا

(١) عند الآية (٥٣).

(٢) صحيح إلبهم: ولم أجده عن ابن عباس: الطبري (٢٧ / ٤٧) في تفسيره، وفتح القدير (٧ / ٦٧) للشوكاني.

(٣) في إسناده نظر: السابق (٢٧ / ٤٧).

(٤) صحيح: البخاري (٧٥١٧) في التوحيد. (٥ - ٧) تفسير البغوي (٧ / ٤٠٢).

أي ذا مقدار مسافة إصبع ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ أي على تقديركم؛ كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]. وفي الصحاح: وتقول: بينهما قَابُ قوس، وقَيْبُ قوس وقَادُ قوس، وقِيدُ قوس؛ أي قدر قوس. وقرأ زيد بن علي «قَاد» وقرئ «قِيد» و«قَدْر». ذكره الزمخشري<sup>(١)</sup>. والقَاب ما بين المقبض والسِيَّة. ولكل قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أراد قايي قوس فقلبه. وفي الحديث: «لقاب قوس أحدكم في الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها»<sup>(٢)</sup> والقَد: السوط. وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»<sup>(٣)</sup>. وإنما ضرب المثل بالقوس، لأنها لا تختلف في القاب. والله أعلم. قال القاضي عياض: اعلم أن ما وقع من إضافة الدنو والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنو مكان ولا قُرب مدى، وإنما دنو النبي ﷺ من ربه وقربه منه: إبانة عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته. ومن الله تعالى له: مبرة وتأنيس ووسط وإكرام. ويتأول في قوله عليه السلام: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»<sup>(٤)</sup> على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبول وإحسان. قال القاضي: وقوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد ﷺ، وعبارة عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار التحفي، وإنافة المنزلة والقرب من الله؛ ويتأول في قوله عليه السلام: «من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»<sup>(٥)</sup> قرب بالإجابة والقبول، وإتيان بالإحسان وتعميل المأمول. وقد قيل: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من ربه ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ قاله مجاهد. ويدل عليه ما روي في الحديث: «إن أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام»<sup>(٦)</sup>. وقيل: ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو أي قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى بل أي بل أدنى. وقال سعيد بن المسيب: القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتكبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد. فأخبر أن جبريل قرب من محمد ﷺ كقرب قاب قوسين. وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهمداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أي قدر ذراعين<sup>(٧)</sup>، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين. وقيل: هي لغة أزد شنوءة أيضاً. وقال الكسائي: قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ أراد قوساً واحداً؛ كقول الشاعر:

وَمَهْمَهَيْنِ قَدَفَيْنِ مَرَّتَيْنِ      قَطَعْتُهُ بِالسَّمْتِ لَا بِالسَّمْتَيْنِ

أراد مهمها واحداً. والقوس تذكر وتؤنث فمن أنث قال في تصغيرها: قويسة، ومن ذكر قال:

(١) الكشاف للزمخشري (٤ / ٣٨).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٧٩٦) في الجهاد، ومسلم (١٨٨٠) في الإمارة.

(٣) متفق عليه: البخاري (٢٧٩٣) في الجهاد، ومسلم (١٨٨٢) في الإمارة.

(٤) صحيح: وقد سبق، ولا يتأول كما قال المصنف، ولكن ثبت لله تعالى ما أثبتته لذاته من صفة النزول وغيرها.

(٥) متفق عليه: البخاري (٧٤٠٥) في التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، عن أبي

هريرة - رضي الله عنه

(٦) ضعيف: أبو الشيخ (٢٧٧) في العظمة، عن جابر - رضي الله عنه.

(٧) رواه الطبري (٢٧ / ٤٨) في تفسيره، والبغوي في تفسيره (٧ / ٤٠٢).

قويس؛ وفي المثل (هو من خير قويس سهما). والجمع قيسي وقيسي وأقواس وقياس؛ وأنشد أبو عبيدة:

ووتر الأساور القياساً

والقوس أيضاً: بقية النمر في الجلة، أي الوعاء. والقوس: برج في السماء. فأما القوس بالضم

فصومعة الراهب؛ قال الشاعر وذكر امرأة:

لاستفتنتني وذأ المسحين في القوس

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ تفخيم للوحي الذي أوحى إليه. وتقدم معنى الوحي وهو

إلقاء الشيء بسرعة ومنه الوحاء الوحاء. والمعنى: فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

وقيل: المعنى ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ جبريل عليه السلام ﴿مَا أَوْحَىٰ﴾. وقيل: المعنى فأوحى جبريل إلى عبد

الله محمد ﷺ ما أوحى إليه ربه؛ قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة <sup>(١)</sup>. قال قتادة: أوحى الله

إلى جبريل وأوحى جبريل إلى محمد <sup>(٢)</sup>. ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبهم؟ لا نطلع عليه نحن

وتعبدنا بالإيمان به على الجملة، أو هو معلوم مفسر؟ قولان. وبالثاني قال سعيد بن جبير، قال:

أوحى الله إلى محمد: ألم أجذك يتيماً فأويتك! ألم أجذك ضالاً فهديتك! ألم أجذك عائلاً فأغنيتك!

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ <sup>(٣)</sup> [الشرح: ٤].

وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها

أمتك.

﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۗ أَفَتَسْمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۗ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۗ عِنْدَ سِدْرَةِ

الْمُنْتَهَىٰ ۗ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۗ إِذْ يَفْشَى السِّدْرَةَ مَا يَفْشَىٰ ۗ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۗ لَقَدْ

رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج؛ وذلك أن الله

تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية. وقيل: كانت رؤية حقيقة

بالبصر. والأول مروى عن ابن عباس <sup>(٤)</sup>. وفي «صحيح مسلم» أنه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذر <sup>(٥)</sup>

وجماعة من الصحابة. والثاني قول أنس وجماعة. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال: أتعجبون

أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ <sup>(٦)</sup>. وروى عن ابن عباس أيضاً

أنه قال: أما نحن بني هاشم فنقول إن محمداً رأى ربه مرتين <sup>(٧)</sup>. وقد مضى القول في هذا في

(١) ذكرها الطبري (٢٧/ ٥٠) في تفسيره.

(٢) كذا عند الشوكاني في فتح القدير (٧/ ٦٨).

(٣) سيأتي بعد قليل - إن شاء الله.

(٤) صحيح: مسلم (١٧٦) في الإيمان موقوفاً وهو قول أبي ذر.

(٥) صحيح: صحيح الحاكم في المستدرک (١/ ١٣٣)، والنسائي (٦/ ٤٧٢) في سننه الكبرى (١١٥٣٩)، وعبد

الله ابن الإمام أحمد (٢/ ٤٦٠).

(٧) حسن: وقد سبق عند الآية (١٠٣) من سورة الأنعام.

«الأنعام» عند قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وروى محمد بن كعب قال: قلنا يا رسول الله، صلى الله عليك، رأيت ربك؟ قال: «رأيتَهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ» ثم قرأ: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١). وقول ثالث: أنه رأى جلاله وعظمته؛ قاله الحسن (٢). وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجبا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك» (٣).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه» (٤)، والمعنى: غلبني من النور وبهرني منه ما معني من رؤيته. ودل على هذا الرواية الأخرى رأيت نورا». وقال ابن مسعود: رأى جبريل على صورته مرتين (٥). وقرأ هشام عن ابن عامر وأهل الشام «ما كَذَّبَ» (٦) بالتشديد أي ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدقه. فـ ﴿مَا﴾ مفعول بغير حرف مقدر؛ لأنه يتعدى مشددا بغير حرف. ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ بمعنى الذي والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. الباقون مخففا؛ أي ما كذب فؤاد محمد فيما رأى؛ فأسقط حرف الصفة.

قال حسان رضي الله عنه:

لو كنتِ صَادِقَةَ الَّذِي حَدَّثْتِنِي      لَنَجُوتِ مَنَجَا الحَارِثِ بنِ هِشَامِ

أي في الذي حدثتني. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدرا. ويجوز أن يكون بمعنى الذي؛ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى.

قوله تعالى: ﴿أَفْتَمَارُونَهُ عَلَيَّ مَا يَرَى﴾ قرأ حمزة والكسائي: «أَفْتَمَرُونَهُ» بفتح التاء من غير الف (٧) على معنى أفتجحدونه. واختاره أبو عبيد؛ لأنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه. يقال: مره حقه، أي جحدته ومريته أنا؛ قال الشاعر:

لئن هجرت أخا صِدْقٍ ومَكْرَمَةٍ      لَقَدْ مَرَيْتَ أَخَا ما كان يَمْرِيكَ

أي جحدته. وقال المبرد: يقال: مره عن حقه وعلى حقه إذا منعه منه ودفعه عنه. قال: ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك؛ أي رضي عنك. وقرأ الأعرج ومجاهد: «أَفْتَمَرُونَهُ» بضم التاء من غير الف (٧) من أمرت؛ أي تريبونه وتشككونه. الباقون «أَفْتَمَارُونَهُ» بآلف، أي أفتجادلونه وتدافعونه في أنه رأى الله؛ والمعنيان متداخلان؛ لأن مجادلتهم جحد. وقيل: إن الجحد كان دائما منهم وهذا جدال جديد؛ قالوا: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن غيرنا التي في

(١) مرسل ضعيف: محمد بن كعب القرظي تابعي، وفي سنده موسى بن عبيدة وهو الربذي ضعيف، الدر المنثور (٦/ ١٦٠) للسيوطي، وتفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٥).

(٢) ضعيف: ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره، وفيه عباد بن منصور، ضعفه النسائي.

(٣) ضعيف للإرسال: ابن أبي حاتم (١٢/ ٢٥٨) في تفسيره، وقال ابن كثير (٧/ ٣٤٥): «غريب جدا».

(٤) صحيح: مسلم (١٧٨) في الإيمان.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٨٥٥) في التفسير، ومسلم (١٧٧) في الإيمان من قول عائشة - رضي الله عنها - وأما قول ابن مسعود ففيه: (رأى جبريل وله ستمائة جناح).

(٦- ٨) قراءات متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

طريق الشَّام. على ما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿نَزْلَةَ﴾ مصدر في موضع الحال كأنه قال: ولقد رآه نازلاً نزلة أخرى. قال ابن عباس: رأى محمد ﷺ ربه مرة أخرى بقلبه<sup>(١)</sup>. روى مسلم عن أبي العالية عنه قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين<sup>(٢)</sup>؛ فقوله: ﴿نَزْلَةَ أُخْرَى﴾ يعود إلى محمد ﷺ؛ فإنه كان له صعود ونزول مرارا بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ أي ومحمد ﷺ عند سدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات. وقال ابن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَى نَزْلَةَ أُخْرَى﴾: إنه جبريل<sup>(٣)</sup>. ثبت هذا أيضا في «صحيح مسلم». وقال ابن مسعود: قال النبي ﷺ: «رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت»<sup>(٤)</sup> ذكره المهدي.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿عِنْدَ﴾ من صلة ﴿رَأَى﴾ على ما بينا. والسدر شجر النبق وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة. والحديث بهذا في «صحيح مسلم»؛ الأول ما رواه مرة عن عبد الله قال: لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: فراش من ذهب، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمت<sup>(٥)</sup>. الحديث الثاني رواه قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال: «لما رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقتها مثل قلال هجر، وورقها مثل أذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»<sup>(٦)</sup> لفظ الدارقطني. والنبق بكسر الباء: ثمر السدر الواحد نبقة. ويقال: نبق بفتح النون ومكون الباء؛ ذكرهما يعقوب في «الإصلاح» وهي لغة المصريين، والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبي ﷺ. وروى الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وقد ذكر له سدرة المنتهى قال: «يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب» شك يحيى «فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن<sup>(٧)</sup>.

قلت: وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت عن أنس «لما ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشي تغيرت فعنا أحد من خلق

(١) ، ٢) صحيح : مسلم (١٧٦ / ٢٨٥) في الإيمان من طريق أبي العالية به .

(٣) صحيح : وقد سبق .

(٤) حسن بنحوه : ابن كثير في تفسيره (٧ / ٣٤٧) من طريق الإمام أحمد وحسن إسناده ، وبلفظه رواه أبو الشيخ

(٣ / ٩٧٨) في العظمة وسنده حسن أيضا .

(٥) صحيح : مسلم (١٧٣ / ٢٧٩) في الإيمان . والمقحمت : ما يدخل صاحبه النار من الذنوب العظام . النهاية

(٤ / ١٩) لابن الأثير .

(٦) صحيح : وقد سبق .

(٧) حسن : الترمذي (٢٥٤١) في صفة الجنة ، وضعفه الألباني

الله يستطيع أن يعنتها من حسنهما (١). واختلف: لم سميت سدرة المنتهى؟ على أقوال تسعة: الأول: ما تقدم عن ابن مسعود أنه ينتهي إليها كلما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها (٢). الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ابن عباس (٣). الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك (٤). الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب (٥). الخامس: سميت سدرة المنتهى لأنها ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس (٦). السادس: لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة. السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد ﷺ ومنهاجه؛ قاله علي رضي الله عنه والربيع بن أنس أيضاً (٧). الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضاً (٨).

قلت: يريد - والله أعلم - أن ارتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش؛ ودليله على ما تقدم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

التاسع: سميت بذلك لأن من رفع إليها فقد انتهى في الكرامة. وعن أبي هريرة لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى فقبل له: هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد خلا من أمك على سنتك؛ فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وإذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها، والورقة منها تعطي الأمة كلها (٩)؛ ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سدرة المنتهى. وقرأ علي وأبو هريرة وأنس وأبو سبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» يعني جنة المبيت. قال مجاهد: يريد أجنه. والهاء للنبي ﷺ. وقال الأحفش: أدركه كما تقول: جنة الليل، أي ستره وأدركه. وقراءة العامة: ﴿جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون. وقيل: إنها الجنة التي يصير إليها أرواح الشهداء؛ قاله ابن عباس (١٠). وهى عن يمين العرش. وقيل: هي الجنة التي

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) صحيح: مسلم (١٧٣) في الإيمان.

(٣) ضعيف إليه: الطبري في تفسيره (٥٦ / ٢٧)، نقلاً عن ابن عباس، عن كعب.

(٤) رواه الطبري (٥٦ / ٢٧) في تفسيره.

(٥) ذكره الشوكاني (٦٩ / ٧) في فتح القدير، والماوردي في النكت والعيون (٤ / ١٨٨).

(٦) صحيح إليه: الطبري (٥٦ / ٢٧) في تفسيره.

(٧) حسن إلى الربيع: تفسير الطبري (٥٦ / ٢٧)، وذكره الشوكاني في فتح القدير (٦٩ / ٧)، والماوردي (٤ / ١٨٨) في النكت والعيون.

(٨) ضعيف: الطبري في تفسيره (٥٦ / ٢٧).

(٩) ضعيف: وهو محتمل للتحسين من هذا السياق: فيه أبو جعفر الرازي وهو سئ الحفظ وإن كان قد رواه أحمد (١١٨٩٢) في المسند، عن ابن عدي به، وصححه محققه هناك.

(١٠) ضعيف: الطبري (٥٩ / ١٧) في تفسيره من طريق العوفيين، وكذا رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور

أوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أخرج منها وهي في السماء السابعة. وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى. وإنما قيل لها: جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها. وقيل: لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود وأصحابه: فراش من ذهب. ورواه مرفوعا ابن مسعود وابن عباس إلى النبي ﷺ. وقد تقدم في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود قوله (١). وقال الحسن: غشيها نور رب العالمين فاستنارت. قال القشيري: وسئل رسول الله ﷺ ما غشيها؟ قال: «فراش من ذهب» (٢). وفي خبر آخر: «غشيها نور من الله حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها» (٣). وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الرب والملائكة تقع عليها كما يقع الغربان على الشجرة (٤). وعن النبي ﷺ قال: «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وذلك قوله: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾» (٥) ذكره المهدي والتعليبي. وقال أنس بن مالك: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ قال: جراد من ذهب، وقد رواه مرفوعا. وقال مجاهد: إنه رفر ف أخصر. وعنه عليه السلام: «يغشاها رفر من طير خضر» (٦). وعن ابن عباس: يغشاها رب العزة؛ أي أمره كما في «صحيح مسلم» مرفوعا: «فلما غشيها من أمر الله ما غشي» (٧). وقيل: هو تعظيم الأمر؛ كأنه قال: إذ يغشى السدرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته. وهكذا قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم] ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [فغشاها ما غشى] [النجم: ٥٤] ومثله ﴿الْحَاقَّةُ﴾ [١] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ٢]. وقال الماوردي في «معاني القرآن» له: فلان قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية؛ فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية؛ فظلمها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزها، وطعمها بمنزلة النية لكونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره. وروى أبو داود في سننه قال: حدثنا نصر بن علي قال: حدثنا أبو أسامة عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار» (٨) وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها؛ صوب الله رأسه في النار.

قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ قال ابن عباس: أي ما عدل يميننا ولا شمالا، ولا تجاوز الحد

(١) صحيح: وقد سبق. (٢) انظر: الطبري (٢٧ / ٥٩) في تفسيره.

(٣) مرسل: من طريق أبي العالية وغيره، وانظر: البغوي (٧ / ٤٠٦).

(٤) السابق (٧ / ٤٠٦)، وابن كثير في تفسيره (٧ / ٣٤٨)، والطبري (٢٧ / ٦٠) في تفسيره.

(٥) ضعيف جداً: أرسله ابن زيد إلى النبي ﷺ فهو معضل، وانظر: الطبري في تفسيره (٢٧ / ٦٠).

(٦) هذا من قول ابن مسعود - رضي الله عنه - كما في تفسير الطبري (٢٧ / ٦٢) بأسانيد فيها ضعف وانقطاع.

(٧) صحيح: وقد سبق.

(٨) صحيح: أبو داود (٥٢٣٩) في الأدب، وصححه الألباني.

الذي رأى (١). وقيل: ما جاوز ما أمر به. وقيل: لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات. وهذا وصف أدب للنبي ﷺ في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس: رأى رفرفا سد الأفق (٢). وذكر البيهقي عن عبد الله قال: ﴿رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال ابن عباس: رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء. وعنه قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حلة رفراف أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض قال البيهقي: قوله في الحديث «رأى رفرفا» يريد جبريل عليه السلام في صورته في رفراف، والررفرف البساط. ويقال: فراش. ويقال: بل هو ثوب كان لباسا له؛ فقد روي أنه رآه في حلة رفراف (٣).

قلت: خرجه الترمذي عن عبد الله قال: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال: رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في حلة من رفراف قد ملأ ما بين السماء والأرض قال: هذا حديث حسن صحيح (٤).

قلت: وقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (النجم) أنه على التقديم والتأخير؛ أي تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه. قال: «فارقتي جبريل وانقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربي» (٥) فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأول جبريل. قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان: رأى جبريل عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السموات (٦)؛ وكذا في «صحيح مسلم» عن عبد الله قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح (٧). ولا يبعد مع هذا أن يكون في حلة رفراف وعلى رفراف. والله أعلم. وقال الضحاك: رأى سدرة المنتهى. وعن ابن مسعود: رأى ما غشي السدرة من فراش الذهب؛ حكاه الماوردي (٨). وقيل: رأى المعراج. وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدته؛ وهو أحسن؛ دليله ﴿لَرَبِّهِ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١] و﴿مَنْ﴾ يجوز أن تكون للتبعيض، وتكون ﴿الْكُبْرَى﴾ مفعولة لـ ﴿رَأَى﴾ وهي في الأصل صفة الآيات ووحدت لرؤوس الآيات. وأيضا يجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨]، وقيل: ﴿الْكُبْرَى﴾ نعت لمحدوف؛ أي رأى من آيات ربه الكبرى. ويجوز أن تكون ﴿مَنْ﴾ زائدة؛ أي رأى آيات ربه الكبرى. وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي رأى الكبرى من آيات ربه.

(١) فيه انقطاع بين مسلم البطين، وابن عباس: الطبري (٢٧/ ٦١) في تفسيره.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: الطبري (٢٧/ ٦١، ٦٢) في تفسيره.

(٤) حسن صحيح: الترمذي في تفسير القرآن (٣٢٨٣)، وصححه الألباني هناك.

(٥) ضعيف: وقد سبق.

(٦) سبق تخريجه.

(٧) صحيح: وقد سبق.

(٨) النكت والعيون للماوردي (٤/ ١٨٨).

﴿ أَفْرَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْزَةَ الثَّلَاثَةِ الْآخْرَىٰ ۖ الْكُمُ الدَّكْرُ وَهَلَةُ الْأَثْنِ ۖ تِلْكَ إِذَا قَسَمَ ضِرْيَىٰ ۖ ﴾

قوله تعالى: ﴿ أَفْرَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ ﴾ لما ذكر الوحي إلى النبي ﷺ، وذكر من آثار قدرته ما ذكر، حاج المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل وقال: أفرايتم هذه الآلهة التي تعبدونها أوحين إليكم شيئا كما أوحى إلى محمد. وكانت اللات لثقيف، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال هشام: فكانت مناة لهذيل وخزاعة؛ فبعث رسول الله ﷺ عليا رضي الله عنه فهدمها عام الفتح. ثم اتخذوا اللات بالطائف، وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها من ثقيف، وكانوا قد بنوا عليها بناء، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها. وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم اللات. وكانت في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار. ثم اتخذوا العزى وهي أحدث من اللات، اتخذها ظالم بن أسعد، وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق، فبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منها الصوت (١). قال ابن هشام: وحدثني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٢) قال: كانت العزى شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة، فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة، بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: «أبت بطن نخلة فإنك تجد ثلاث سمرات فاعضد الأولى» فأتاها فعضدها فلما جاء إليه قال: «هل رأيت شيئا؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثانية» فأتاها فعضدها، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئا؟» قال: لا. قال: «فاعضد الثالثة» فأتاها فإذا هو بحبشية نافذة شعرها، واضعة يديها على عاتقها تُصرِّفُ بأنبيائها، وخلفها دُبَّية السلمي وكان سادنها فقال:

يا عَزُّ كُفْرَانِكَ لَا سِحَانِكَ  
إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُممة، ثم عضد الشجرة وقتل دُبَّية السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبدا» (٣). وقال ابن جبير: العزى: حجر أبيض كانوا يعبدونه. قتادة: نبت كان ببطن نخلة. ومناة: صنم لخزاعة. وقيل: إن اللات فيما ذكر بعض المفسرين أخذه المشركون من لفظ الله، والعزى من العزير، ومناة من منى الله الشيء إذا قدره. وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحמיד وأبو صالح «اللات» بتشديد التاء (٤). وقالوا: كان رجلا يلت السوق للحاج (٥)

(١) هذا من كلام هشام بن محمد بن السائب الكلبي كما في كتاب «الأصنام»، والله أعلم، وهشام حاله كآبيه من الكذب.

(٢) ضعيف: الحادثة رويها النسائي في الكبرى (١١٥٤٧) من حديث أبي الطفيل، وذكره الهيثمي في المجمع (٨/١٧٦) وعزاه للطبراني وفيه يحيى بن المنذر وهو: ضعيف

(٣) انظر السابق.

قلت: وفي هذه الروايات اضطراب، فقد كانت هذه الأصنام في الكعبة، وانظر: البحر المحيط لأبي حيان (٨/١٦١).

(٤) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٧٧).

(٥) صحيح: البخاري (٤٨٥٩) في التفسير.

ذكر البخاري عن ابن عباس - فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه. ابن عباس: كان يبيع السوق والسمن عند صخرة ويصبه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبت ثقيف تلك الصخرة إعظاما لصاحب السوق. أبو صالح: إنما كان رجلا بالطائف فكان يقوم على آلهتهم وملت لهم السوق فلما مات عبده. مجاهد: كان رجل في رأس جبل له غُنيمة يسلي<sup>(١)</sup> منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها، ثم يتخذ منها حنيسا<sup>(٢)</sup> فيطعم الحاج، وكان يبطن نخلة فلما مات عبده وهو اللات. وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له: صرمة بن غنم. وقيل: إنه عامر بن ظُرب العدواني. قال الشاعر:

لا تَنْصُرُوا اللَّاتَ إِنَّ اللَّهَ مُهْلِكُهَا      وكيف يَنْصُرُكُمْ مَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ

والقراءة الصحيحة ﴿اللَّاتُ﴾ بالتخفيف اسم صنم والوقوف عليها بالتاء وهو اختيار الفراء. قال الفراء: وقد رأيت الكسائي سأل أبا قحسَمَ الأسدي فقال: ذاه لذات، وياه للات، وقرأ «أفرايمت اللاه» وكذا قرأ الدوري عن الكسائي والبيزي عن ابن كثير «اللاه» بالهاء في الوقف<sup>(٣)</sup>، ومن قال: إن ﴿اللَّاتُ﴾ من الله وقف بالهاء أيضا. وقيل: أصلها لاهة مثل شاة أصلها شاة وهي من لاهت أي اختفت؛ قال الشاعر:

لَاهَتْ فَمَا عُرِفَتْ يَوْمًا بِخَارِجَةٍ      يَا لَيْتَهَا خَرَجَتْ حَتَّى رَأَيْنَاهَا

وفي الصحاح: اللات اسم صنم كان لثقيف وكان بالطائف، وبعض العرب يقف عليها بالتاء، وبعضهم بالهاء؛ قال الأخفش: سمعنا من العرب من يقول: اللات والعزى، ويقول: هي اللات فيجعلها تاء في السكوت وهي اللات، فاعلم أنه جُرَّ في موضع الرفع؛ فهذا مثل أمس مكسور على كل حال وهو أجود منه؛ لأن الألف واللام اللتان في اللات لا تسقطان وإن كانتا زائدتين؛ وأما ما سمعنا من الأكثر في اللات والعزى في السكوت عليها فاللاه؛ لأنها هاء فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل: كان من الأمر كيت وكيت، وكذلك هيهات في لغة من كسرهما؛ إلا أنه يجوز في هيهات أن تكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات؛ لأن التاء لا تزداد في الجماعة إلا مع الألف، وإن جعلت الألف والتاء زائدتين بقي الاسم على حرف واحد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنَاةُ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ قرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي والأعشى عن أبي بكر «ومناة» بالمد والهمز<sup>(٤)</sup>. والباقون بترك الهمز لغتان. وقيل: سمي بذلك؛ لأنهم كانوا يريقون عنده الدماء يتقربون بذلك إليه. وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء. وكان الكسائي وابن كثير وابن محيصن يقفون بالهاء على الأصل. الباقون بالتاء اتباعا لخط المصحف. وفي الصحاح: ومناة اسم صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهي لغة، والنسبة إليها منوي. وعبد مناة بن أد بن طابخة، وزيد مناة بن تميم بن مرُّميد ويقصر؛ قال

(١) يسلي: يجمع. اللسان «سلاه»، والأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. اللسان «أقط».

(٢) الحنيس هو: الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيق. النهاية

(١٤٦٧/١) لابن الأثير.

(٣) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٨).

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٧).

هوهر الحارثي :

ألا هل أتى التيم بن عبد مناة على الشنء فيما بيننا ابن تميم

قوله تعالى: ﴿الْأُخْرَى﴾ العرب لا تقول للثالثة أخرى ، وإنما الأخرى نعت للثانية، واختلفوا في وجهها فقال الخليل: إنما قال ذلك لوفاق رؤوس الآي؛ كقوله: ﴿مَأْرِبُ أُخْرَى﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: آخر. وقال الحسين بن الفضل: في الآية تقديم وتأخير مجازها أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة. وقيل: إنما قال: ﴿وَمَنَاةُ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ لأنها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى فالكلام على نسقه. وقد ذكرنا عن ابن هشام: أن مناة كانت أولا في التقديم، فلذلك كانت مقدمة عندهم في التعظيم؛ والله أعلم. وفي الآية حذف دل عليه الكلام؛ أي أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله. ثم قال على جهة التقرير والتوبيخ: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ رداً عليهم قولهم: الملائكة بنات الله، والأصنام بنات الله .

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا﴾ يعني هذه القسمة ﴿فِسْمَةٌ ضِيْرَى﴾ أي جائرة عن العدل، خارجة عن الصواب، ماثلة عن الحق. يقال: ضاز في الحكم أي جار، وضاز حقه يضيْزه ضيْراً - عن الأخفش - أي نقصه وبخسه. قال: وقد يهمز فيقال: ضآزه يضاْزه ضآزا وأنشد:

فإن تنأ عتاً تنتقصك وإن تقم فقسمك مضووز وأنفك راغم

وقال الكسائي: يقال: ضآز يضيْزُ ضيْزا، وضآز يضاْز، وضآز يضاْز ضآزا إذا ظلم وتعدى

وبخس وانتقص؛ قال الشاعر:

ضآزتُ بنو أسد بحكمهم إذ يجعلون الرأس كالذنب

قوله تعالى: ﴿فِسْمَةٌ ضِيْرَى﴾ أي جائرة، وهي فعلى مثل طوبى وحبلى؛ وإنما كسروا الضاد لتسلم الياء؛ لأنه ليس في الكلام فعلى صفة، وإنما هو من بناء الأسماء كالشعري والدفلى. قال الفراء: وبعض العرب تقول: ضووزى وضووزى بالهمز. وحكى أبو حاتم عن أبي ريد: أنه. سمع العرب تهمز ﴿ضيْرى﴾. قال غيره: وبها قرأ ابن كثير (١)؛ جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة؛ إذ ليس في الصفات فعلى ولا يكون أصلها فعلى؛ إذ ليس فيها ما يوجب القلب، وهي من قولهم: ضآرتة أي ظلمته. فالمعنى قسمة ذات ظلم. وقد قيل: هما لغتان بمعنى. وحكى فيها أيضا سواهما: ﴿ضيْرى﴾ وضآزى وضووزى وضووزى. وقال المورج: كرهوا ضم الضاد في ﴿ضيْرى﴾، وخافوا انقلاب الياء واوا وهي من بنات الواو؛ فكسروا الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع: أبيض بيض، والأصل بوض؛ مثل حمر وصفر وخضر. فأما من قال: ضآز يضاْز فإلاسم منه ضووزى مثل شوورى.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ  
وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ﴿أمر للإنسان ما تمنى﴾ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ  
وَالْأُولَى﴾ ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ  
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي ما هي يعني هذه الأوثان ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني نحتموها وسميتموها آلهة. ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ أي قلدتموهم في ذلك. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ أي ما أنزل الله بها من حجة ولا برهان. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ عاد من الخطاب إلى الخبر أي ما يتبع هؤلاء إلا الظن. ﴿وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ أي تميل إليه. وقراءة العامة «يَتَّبِعُونَ» بالياء. وقرأ عيسى بن عمر وأيوب وابن السميع «تتبعون» بالتاء على الخطاب. وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ أي البيان من جهة الرسول أنها ليست بآلهة. ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ أي اشتهى أي ليس ذلك له. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من البنين؛ أي يكون له دون البنات. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من غير جزاء، ليس الأمر كذلك. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من النبوة أن تكون فيه دون غيره. وقيل: ﴿أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ من شفاعة الأصنام؛ نزلت في النضر بن الحارث. وقيل: في الوليد بن المغيرة (١). وقيل: في سائر الكفار. ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى أحد.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرْضَى﴾ هذا توبيخ من الله تعالى لمن عبد الملائكة والأصنام، وزعم أن ذلك يقربه إلى الله تعالى، فأعلم أن الملائكة مع كثرة عبادتها وكرامتهم على الله لا تشفع إلا لمن أذن أن يشفع له. قال الأخفش: الملك واحد ومعناه جمع؛ وهو كقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وقيل: إنما ذكر ملكاً واحداً، لأن ﴿كُمْ﴾ تدل على الجمع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى ۗ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ۗ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى ۗ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم الكفار الذين قالوا: الملائكة بنات الله والأصنام بنات الله ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى﴾ أي كتسمية الأنثى، أي يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله. ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي إنهم لم يشاهدوا خلقه الملائكة، ولم يسمعوا ما قالوه من رسول الله ﷺ، ولم يروه في كتاب. ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ﴾ أي ما يتبعون ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ في أن الملائكة إناث. قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني القرآن والإيمان. وهذا منسوخ بآية السيف ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ نزلت في النضر. وقيل: في الوليد. ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي إنما يبصرون أمر دنياهم ويجهلون أمر دينهم. قال الفراء: صغرهم وازدرى بهم؛ أي ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة. وقيل: أن جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أي حاد عن دينه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ فيجازي كلا بأعمالهم.

(١) انظر: أسباب النزول بنحوه (ص ٣٣٨) للواحدى.

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا وَعَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ الَّذِينَ يَجْتَنُونَ كِبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اسْتَوُوا بِمَا وَعَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ كأنه قال: هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. وقيل: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ معترض في الكلام؛ والمعنى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أهدى لمن اهتدى ليجزي. وقيل: هي لام العاقبة، أي ولله ما في السموات وما في الأرض؛ أي عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم مسيء ومحسن؛ فللمسيء السوأى وهي جهنم، وللمحسن الحسنى وهي الجنة.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ .

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ هذا نعت للمحسنين؛ أي هم لا يرتكبون كبائر الإثم وهو الشرك؛ لأنه أكبر الآثام. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي «كبير» على التوحيد<sup>(١)</sup> وفسره ابن عباس بالشرك. ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ الزنا. وقال مقاتل: ﴿ كِبَائِرَ الْإِثْمِ ﴾ كل ذنب ختم بالنار. ﴿ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ كل ذنب فيه الحد. وقد مضى في «النساء» القول في هذا<sup>(٢)</sup>. ثم استثنى استثناء منقطعاً وهي: الثانية: فقال: ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ وهي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه. وقد اختلف في معناها؛ فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبي: ﴿ اللَّمَمَ ﴾ كل ما دون الزنا. وذكر مقاتل بن سليمان: أن هذه الآية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار؛ كان له حانوت يبيع فيه تمر، فجاءته امرأة تشتري منه تمرا فقال لها: إن داخل الدكان ما هو خير من هذا، فلما دخلت راودها فأبت وانصرفت فندم نبهان؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ما من شيء يصنعه الرجل إلا وقد فعلته إلا الجماع؛ فقال: «لعل زوجها غاز»<sup>(٣)</sup> فنزلت هذه الآية، وقد مضى في آخر «هود»<sup>(٤)</sup>، وكذا قال ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق: إن اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة والمضاجعة. وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال: زنى العينين النظر، وزنى اليدين البطش، وزنى الرجلين المشي، وإنما يصدق ذلك أو يكذبه الفرج؛ فإن تقدم كان زنى وإن تأخر كان لما<sup>(٥)</sup>. وفي «صحيح البخاري ومسلم» عن ابن عباس قال: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة: إن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص. ١٧).

(٢) معضل: ومقاتل بينه وبين الرسول ﷺ زمن بعيد، وانظر: النكت والعيون للماوردي - رحمه الله (٥/ ٤٠١).

(٣) الآية (١١٤) من سورة هود، والقصة قصة (أبي اليسر) وقد سبقت.

(٤) حسن: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٦٩).

على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنى العينين النظر، وزنى اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه<sup>(١)</sup>. والمعنى: أن الفاحشة العظيمة والزنا التأم الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الإثم. والله أعلم. وفي رواية أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك لا محالة فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطأ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه». خرجه مسلم<sup>(٢)</sup>. وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر فيه الأذن واليد والرجل، وزاد فيه بعد العينين واللسان: «وزنى الشفتين القبلة» فهذا قول. وقال ابن عباس أيضا: هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب. قال: ألم تسمع النبي ﷺ كان يقول:

«إِنْ يَغْفِرَ اللَّهُ يَغْفِرَ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأُ»

رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. قال النحاس: هذا أصح ما قيل فيه وأجلها إسنادا. وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ قال: هو أن يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده؛ قال الشاعر:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأُ<sup>(٤)</sup>

وكذا قال مجاهد والحسن: هو الذي يأتي الذنب ثم لا يعاوده<sup>(٥)</sup>، ونحوه عن الزهري، قال: اللمم أن يزني ثم يتوب فلا يعود، وأن يسرق أو يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية. ثم قال: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فضمن لهم المغفرة؛ كما قال عتيب اللمم: ﴿إِنْ رَبُّكَ أَسْعَى الْمَغْفِرَةَ﴾ فعلى هذا التأويل يكون ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ استثناء متصل. قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللمم ما دون الشرك<sup>(٦)</sup>. وقيل: اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا، ولا توعده عليه بعداب في الآخرة تكفره الصلوات الخمس. قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة<sup>(٧)</sup>. ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن ابن عباس<sup>(٨)</sup>. وقال الكلبي<sup>(٩)</sup>: اللمم على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة؛ فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش. والوجه الآخر: هو الذنب العظيم يلم به الإنسان المرة بعد المرة فيتوب منه. وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وزيد بن ثابت: هو ما سلف في الجاهلية

(١) متفق عليه: البخاري (٦٢٤٣) في الاستئذان، ومسلم (٢٦٥٧) في القدر.

(٢) صحيح: مسلم (٢٦٥٧) في القدر.

(٣) صحيح: الترمذي (٣٢٨٤) في تفسير القرآن، وصححه الألباني هناك.

(٤) صحيح: إلا أن الطبري رواه عن مجاهد لا عن ابن عباس. الطبري (٧٠/٢٧) في تفسيره.

(٥) صحيح: السابق (٧٠/٢٧).

(٦) حسن: الطبري في تفسيره (٧١/٢٧).

(٧) كذا عند الطبري (٧١/٢٧، ٧٢) في تفسيره بأسانيد صحاح.

(٨) صحيح: من طريق الحكم بن عتيبة، ورجاله ثقات: الطبري (٧٢/٢٧) في تفسيره إن كان سمع من ابن عباس.

(٩) انظر: تفسير البغوي (٧/٤١٢).

فلا يؤاخذهم به (١). وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنما كنتم بالأمس تعملون معنا فنزلت، وقاله زيد بن أسلم وابنه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. وقيل: اللمم هو أن يأتي بذنب لم يكن له بعادة؛ قاله نبطويه. قال: والعرب تقول: ما يأتينا إلا لماما؛ أي في الحين بعد الحين. قال: ولا يكون أن يلم ولا يفعل، لأن العرب لا تقول: ألم بنا إلا إذا فعل الإنسان لا إذا هم ولم يفعل. وفي الضحاح: وألم الرجل من اللمم وهو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير موقعة. وأنشد غير الجوهري:

بِزَيْنَبِ أَلِمِّمْ قَبْلَ أَنْ يَرِحَلَ الرَّكْبُ      وَقُلْ إِنْ تَمَلَّيْنَا فَمَا مَلَكَ الْقَلْبُ

أي اقرب. وقال عطاء بن أبي رباح: اللمم عادة النفس الحين بعد الحين. وقال سعيد بن المسيب: هو ما ألم على القلب (٢)؛ أي خطر. وقال محمد ابن الحنفية: كل ما هممت به من خير أو شر فهو لم. ودليل هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «إن للشيطان لمة وللملك لمة» الحديث (٣). وقد مضى في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ بِعِدَّتِكُمُ الْفُكْرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال أبو إسحاق الزجاج: أصل اللمم والإلمام ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه؛ يقال: ألمت به إذا زرت وانصرفت عنه، ويقال: ما فعلته إلا لماما؛ أي الحين بعد الحين. وإنما زيارتك إلمام، ومنه إلمام الخيال؛ قال الأعشى:

أَلِمَّ خِيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةٍ بَعْدَمَا      وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا

وقيل: إلا بمعنى الواو. وأنكر هذا الفراء وقال: المعنى إلا المتقارب من صغار الذنوب. وقيل: اللمم النظرة التي تكون فجأة.

قلت: هذا فيه بُعد إذ هو معفو عنه ابتداء غير مؤاخذ به؛ لأنه يقع من غير قصد واختيار، وقد مضى في «النور» بيانه (٤). واللمم أيضا طرف من الجنون، ورجل مَلْمُومٌ أي به لَمَمٌ. ويقال أيضا: أصابت فلانا لمة من الجن وهي المس والشيء القليل؛ قال الشاعر:

فَإِذَا وَذَلِكَ يَا كُبَيْشَةَ لَمْ يَكُنْ      إِلَّا كَلِمَةً حَالِمٍ بِخِيَالٍ

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ لمن تاب من ذنبه واستغفر؛ قاله ابن عباس (٥). وقال أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود: رأيت في المنام كأنني دخلت الجنة فإذا قباب مضروبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: لذي الكلاع وحوشب، وكانا ممن قتل بعضهم بعضا، فقلت: وكيف ذلك؟ فقالوا: إنهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة. فقال أبو خالد: بلغني أن ذا الكلاع أعتق اثني عشر ألف بنت (٦).

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ من أنفسكم ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني أباكم آدم من الطين وخرج

(١) (٢) انظر: تفسير البغوي (٧/ ٤١٢).

(٣) صحيح: الترمذي (٢٩٨٨) في تفسير القرآن، عن ابن مسعود، وصححه الألباني هناك.

(٤) عند الآيتين (٣٠، ٣١).

(٥) كذا عند البغوي (٧/ ٤١٣) في تفسيره.

(٦) هذه مجرد رؤيا لا يعلم أحد بها إلا الله - سبحانه.

اللفظ على الجمع. قال الترمذي أبو عبد الله: وليس هو كذلك عندنا، بل وقع الإنشاء على التربة التي رفعت من الأرض، وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة، ثم خرجت من الطينة المياه إلى الأصلاب مع ذرِّو النفوس على اختلاف هيتها، ثم استخرجها من صلبها على اختلاف الهيئات؛ منهم كالدِّرِّ يتسألأ، وبعضهم أنور من بعض، وبعضهم أسود كالحُممة، وبعضهم أشد سوادا من بعض؛ فكان الإنشاء واقعا علينا وعليه. حدثنا عيسى بن حماد العسقلاني قال: حدثنا بشر بن بكر، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي الأولون والآخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة» فقال قائل: يا رسول الله! ومن مضى من الخلق؟ قال: «نعم عرض علي آدم فمن دونه فهل كان خَلِقَ أحد» قالوا: ومن في أصلاب الرجال وبطون الأمهات؟ قال: «نعم مثلوا في الطين ففرقتهم كما علم آدم الأسماء كلها» (١).

قلت: وقد تقدم في أول «الأنعام» (٢) أن كل إنسان يخلق من طين البقعة التي يدفن فيها. ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ﴾ جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن، سمي جنينا لاجتنابه واستاره. قال عمرو بن كلثوم:

هَجَانِ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينًا

وقال مكحول: كنا أجنة في بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي، ثم صرنا رُضْعًا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا يَفَعَةً فهلك منا من هلك، وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي، ثم صرنا شيوخا لا أبا لك - فما بعد هذا تنتظر؟! وروى ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه إلا أنه شقي أو سعيد» (٣)، فأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ إلى آخرها. ونحوه عن عائشة: «كان اليهود» بثلثه. ﴿فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي لا تمدحوها ولا تشنوا عليها، فإنه أبعد من الرياء وأقرب إلى الخشوع ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَنْتُمْ﴾ أي أخلص العمل واتقى عقوبة الله؛ عن الحسن وغيره. قال الحسن: قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة. وقد مضى في «النساء» الكلام في معنى هذه الآية عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [النساء: ٤٩] فتأمله هناك. وقال ابن عباس: ما من أحد من هذه الأمة أزكيه غير رسول الله ﷺ. والله تعالى أعلم.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ رُحْمٌ أَلْيَبُ فَهُوَ يَزَيُّ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٢﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾﴾ الآيات، لما بين جهل المشركين في

(١) مرسل، بل معضل: فالأوزاعي تابعي جليل مات سنة (١٥٧) هـ، وبينه وبين الرسول ﷺ زمن طويل.

(٢) عند الآية (٢).

(٣) ضعيف: الطبراني في الكبير (٢/ ٨١)، وفيه ابن لهيعة ضعيف، ورواه الواحدى في أسباب النزول (ص ٣٣٨)، والسيوطي في اللباب (ص ٣٨٩)، وعزاه في الدر (١/ ١٦٦) لابن أبي حاتم، وأبي نعيم في المعرفة، وابن مردويه.

عبادة الأصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله. قال مجاهد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان قد أتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين، وقال: لم تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت أنهم في النار؟ قال: إني خشيت عذاب الله؛ فضمن له إن هو أعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(١)</sup>. وقال مقاتل: كالمولى مدح القرآن ثم أمسك عنه<sup>(٢)</sup>، فنزل ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ أي من الخير بلسانه ﴿وَأَكْذَى﴾ أي قطع ذلك وأمسك عنه. وعنه: أنه أعطى رسول الله ﷺ عقد الإيمان ثم تولى فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك: نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق وينفق في الخير، فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك ألا يبقى لك شيء. فقال عثمان: إن لي ذنوبا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه! فقال له عبد الله: أعطني ناقتك برحلتها وأنا أحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه وأشهد عليه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع من الصدقة فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ الآية<sup>(٤)</sup> وأعطى قَلِيلًا وَأَكْذَى<sup>(٥)</sup> فعاد عثمان إلى أحسن ذلك وأجمله. ذكر ذلك الواحدي<sup>(٤)</sup> والثعلبي. وقال السدي أيضا: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ<sup>(٥)</sup>. وقال محمد بن كعب القرظي: نزلت في أبي جهل بن هشام، قال: والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق<sup>(٦)</sup>؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى﴾. وقال الضحاك: هو النضر بن الحارث أعطى خمس قلائص لفقير من المهاجرين حين ارتد عن دينه، وضمن له أن يتحمل عنه مائمه رجوعه<sup>(٧)</sup>. وأصل ﴿أَكْذَى﴾ من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم بلغ إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى، ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره. وقال الخطيب:

فَأَعْطَى قَلِيلًا ثُمَّ أَكْذَى عَطَاءَهُ وَمَنْ يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ يُحْمَدُ

قال الكسائي وغيره: أكدي الحافر وأجبل إذا بلغ في حفره كدية أو جبلا فلا يمكنه أن يحفر. وحفر فأكدي إذا بلغ إلى الصلب. ويقال: كديت أصابعه إذا كلت من الحفر. وكديت يده إذا كلت فلم تعمل شيئا. وأكدي التبت إذا قل ريعه، وكدت الأرض تكدو كدوا وكدوا فهي كادية إذا أبطأ نباتها؛ عن أبي زيد. وأكديت الرجل عن الشيء رددته عنه. وأكدي الرجل إذا قل خيريه. وقوله: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى﴾ أي قطع القليل.

قوله تعالى: ﴿أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ أي أعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من أمر العذاب؟ ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ أي يعلم ما غاب عنه من أمر الآخرة، وما يكون من أمره حتى يضمن حمل العذاب عن

(١) مرسل: عن ابن زيد كما في تفسير الطبري (٢٧ / ٧٤)، وكذا رواه عن مجاهد، والواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٨).

(٢) ٣، ٢) مرسلان: وانظر: السابق (٧٤ / ٢٧).

(٤) ضعيف: وإن صح السند: الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٨).

قلت: وهذا غير صحيح في حق عثمان - رضي الله عنه - ولا آراه إلا من وضع حاقده عليه.

(٥) ٦، ٥) مرسلان: البحر المحيط لأبي حيان (١٦٦ / ٨) (٧) مرسل: وقد سبق



صحف إبراهيم وموسى، وقد مضى في آخر «الأنعام» القول في ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] مستوفى (١).

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ روي عن ابن عباس أنها منسوخة (٢) بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه، ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١]. وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة ولا ينفع أحدا عمل أحد، وأجمعوا ألا يصلي أحد عن أحد. ولم يجز مالك الصيام والحج والصدقة عن الميت، إلا أنه قال: إن أوصى بالحج ومات جاز أن يحج عنه. وأجاز الشافعي وغيره الحج التطوع عن الميت. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن وأعتقت عنه. وروى أن سعد ابن عبادة قال للنبي ﷺ: إن أمي توفيت أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم» قال: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» (٣). وقد مضى جميع هذا مستوفى في «البقرة» و«آل عمران» و«الأعراف». وقد قيل: إن الله عز وجل إنما قال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ولام الخفض معناها في العربية الملك والإيجاب فلم يجب للإنسان إلا ما سعى، فإذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لا يجب له، كما يتفضل على الأطفال بإدخالهم الجنة بغير عمل. وقال الربيع بن أنس: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ يعني الكافر وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره (٤).

قلت: وكثير من الأحاديث يدل على هذا القول، وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره، وقد تقدم كثير منها لمن تأملها، وليس في الصدقة اختلاف، كما في صدر كتاب مسلم عن عبد الله بن المبارك. وفي الصحيح: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث» وفيه «أو ولد صالح يدعو له» (٥)، وهذا كله تفضل من الله عز وجل، كما أن زيادة الأضعاف فضل منه، كتب لهم بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة؛ كما قيل لأبي هريرة: أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله ليجزى على الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة» (٦) فهذا تفضل. وطريق العدل ﴿أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

قلت: ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ خاص في السيئة؛ بدليل ما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنة ولم يعملها كتبها له حسنة، فإن عملها كتبها له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، وإذا هم بسيئة

(١) انظر: الطبري (٧٦ / ٢٧) في تفسيره، والبيهقي (٤١٤ / ٧) في تفسيره وزاد المسير (٨ / ٨٠) لابن الجوزي.

(٢) ونسخ وهو قول ضعيف.

(٣) صحيح: أبو داود (١٦٨١) في الزكاة، والنسائي (١٤٩٢) في الكبرى، وابن ماجه (٣٦٨٤) في الأدب،

وصححه الألباني هناك.

(٤) ذكره البيهقي (٤١٦ / ٧) في تفسيره.

(٥) صحيح: وقد سبق.

(٦) ضعيف: الطبري (٩١ / ٥) في تفسيره، وفي إسناده على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، والمبارك بن فضالة وهو مدلس.

ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملها كتبها سيئة واحدة<sup>(١)</sup>. وقال أبو بكر الوراق: ﴿إِلَّا مَا سَعَى﴾  
إلا ما نوى؛ بيانه قوله ﷺ: «بيعت الناس يوم القيامة على نياتهم»<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿وَأَنْ سَعَى سَوْفَ يُرَى﴾ أي يريه الله تعالى جزاءه يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ أي يجزى به  
﴿الجزاء الأوفى﴾ قال الأخفش: يقال جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما، قال الشاعر:  
إِنْ أَجَزَ عَلْقَمَةَ بِنِ سَعْدِ سَعِيهِ      لَمْ أَجْزِهِ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ  
فجمع بين اللغتين.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ أي المرجع والمراد والمصير فيعاقب ويثيب. وقيل: منه ابتداء المنه  
وإليه انتهاء الأمان. وعن أبي بن كعب قال: قال النبي ﷺ في قوله: ﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ قال: (لا فكرة  
في الرب)<sup>(٣)</sup>. وعن أنس: قال النبي ﷺ: «إذ ذكر الله تعالى فانتبه»<sup>(٤)</sup>. قلت: ومن هذا المعنى قوله  
عليه الصلاة والسلام: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا حتى يقول له: من خلق ربك؟  
فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله وليتبه»<sup>(٥)</sup> وقد تقدم في آخر «الأعراف»<sup>(٦)</sup>. ولقد أحسن من قال:  
وَلَا تُفَكِّرُونَ فِي ذِي الْعُلَا عَزَّ وَجْهَهُ      فَإِنَّكَ تُرَدَى إِنْ فَعَلْتَ وَتُخَذَلُ  
وَدُونِكَ مَصْنُوعَاتِهِ فَاعْتَبِرْ بِهَا      وَقُلْ مِثْلَ مَا قَالَ الْخَلِيلُ الْمَبْجَلُ

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ  
وَالْأُنثَى ﴿ مِنْ لُطْفِهِ إِذَا تَنَى ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ ذهب الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه وتعالى فلا فاعل  
إلا هو؛ وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لا والله ما قال رسول الله ﷺ قط  
إن الميت يعذب ببكاء أحد، ، ولكنه قال: «إن الكافر يزيد الله ببكاء أهله عذابا وإن الله لهو  
أضحك وأبكى وما تزر وازرة وزر أخرى»<sup>(٧)</sup>. وعنها قالت: مر النبي ﷺ على قوم من أصحابه وهم  
يضحكون، فقال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» فنزل عليه جبريل فقال:  
يا محمد! إن الله يقول لك: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾. فرجع إليهم فقال: «ما خطوت أربعين خطوة  
حتى أتاني جبريل فقال: ايت هؤلاء فقل لهم: إن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾»<sup>(٨)</sup> أي قضى  
أسباب الضحك والبكاء. وقال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن؛ لأن الفرح يجلب الضحك

(١) متفق عليه: البخارى (٤٢) فى الإيمان بنحوه ، ومسلم (١٢٨ ، ١٢٩) فى الإيمان بلفظه .

(٢) صحيح : وقد سبق .

(٣) ضعيف : البغوى (٧/ ٤١٧) فى تفسيره ، والمدارقطنى (٣/ ٣٦٩) فى الأفراد ، وفيه أبو جعفر الرازى سئ الحفظ .

(٤) لم أجده بلفظه وهو ضعيف بنحوه : البزار عن أبى هريرة ، وفيه عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد وهو ضعيف كما فى المجمع للهيثمى (١٠/ ٢٢٦) .

(٥) متفق عليه : البخارى (٣٢٧٦) فى بدء الخلق ، ومسلم (١٣٤) فى الإيمان عن أبى هريرة - رضى الله عنه .

(٦) عند الآية (٢٠٠) .

(٧) متفق عليه : البخارى (١٢٨٨) فى الجنائز ، ومسلم (٩٢٩) فى الجنائز .

(٨) ضعيف : الواحدى فى أسباب النزول (ص٢٣٩) ، وعزاه السيوطى فى الدرر (٦/ ١٧٠ ، ١٧١) لابن مردويه .

والحزن يجلب البكاء<sup>(١)</sup>. وقيل لعمر: هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم! والإيمان والله أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي<sup>(٢)</sup>. وقد تقدم هذا المعنى في «النمل»<sup>(٣)</sup> و«براءة»<sup>(٤)</sup>. قال الحسن: أضحك الله أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقيل: أضحك من شاء في الدنيا بأن سره وأبكى من شاء بأن غمه<sup>(٥)</sup>. الضحك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر<sup>(٦)</sup>. وقيل: أضحك الأشجار بالنور، وأبكى السحاب بالأمطار<sup>(٧)</sup>. وقال ذو النون: أضحك قلوب المؤمنين والعارفين بشمس معرفته، وأبكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته. وقال سهل بن عبد الله: أضحك الله المطيعين بالرحمة وأبكى العاصين بالسخط. وقال محمد بن علي الترمذي: أضحك المؤمن في الآخرة وأبكاها في الدنيا. وقال بسام بن عبد الله: أضحك الله أسنانهم وأبكى قلوبهم. وأنشد:

الْمَنْ تَضَحَّكَ وَالْأَحْشَاءُ تَحْتَرِقُ  
يَا رَبِّ بَاكَ يَعْينُ لَا دَمْعَ لَهَا  
وَإِنَّمَا ضَحِكُهَا زُورٌ وَمُخْتَلَقٌ  
وَرَبُّ ضَاحِكٍ مِنْ مَا بِهِ رَمَقٌ

وقيل: إن الله تعالى خص الإنسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان، وليس في سائر الحيوان من يضحك ويبكي غير الإنسان. وقد قيل: إن القرد وحده يضحك ولا يبكي، وإن الإبل وحدها تبكي ولا تضحك. وقال يوصف بن الحسين: سئل طاهر المقدسي أنتضحك الملائكة؟ فقال: ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾ أي قضى أسباب الموت والحياة. وقيل: خلق الموت والحياة كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [الملك: ٢٢] قاله ابن بحر. وقيل: أمات الكافر بالكفر، وأحيا المؤمن بالإيمان؛ قال الله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية. وقال: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦] على ما تقدم، وإليه يرجع قول عطاء: أمات بعدله وأحيا بفضله. وقول من قال: أمات بالنع والبخل وأحيا بالجود والبذل. وقيل: أمات النطفة وأحيا النسمة. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: يريد بالحياة الخصب وبالمت الجدب. وقيل: أنام وأيقظ. وقيل: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي من أولاد آدم ولم يرد آدم وحواء بأنهما خلقا من نطفة. والنطفة الماء القليل، مشتق من نطف الماء إذا قطر. ﴿تَمَنَّى﴾ تصب في الرحم وتراق؛ قاله الكلبي والضحك وعطاء بن أبي رباح. يقال: منى الرجل وأمنى من المتى، ومميت منى بهذا الاسم لما يمني فيها من الدماء أي يراق. وقيل: ﴿تَمَنَّى﴾ تقدر؛ قاله أبو عبيدة. يقال: منيت الشيء إذا قدرته، ومنى له أي قدر له؛ قال الشاعر:

حَتَّى تُلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

أي ما يقدر لك القادر.

(١) البغوي في تفسيره (٧/ ٤١٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٤٥١)، عن ابن عمر من طريق قتادة، وفيه انقطاع.

(٣) عند الآية (١٩).

(٤) عند الآية (٨٢).

(٥ - ٧) البغوي في تفسيره (٧/ ٤١٨).

﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿١٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿١٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادَا الْأُولَىٰ ﴿٢٠﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٢١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِذْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ﴿٢٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٢٣﴾ فَفَشَلَهَا مَا غَشَىٰ ﴿٢٤﴾ فِإِذَا آءَاءُ رَبِّكَ تَمَارَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ أي إعادة الارواح في الاشباح للبعث. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «النَّشْأَةَ» بفتح الشين والمد (١)؛ أي وعد ذلك ووعده صدق. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ قال ابن زيد: أغنى من شاء وأفقر من شاء ثم قرأ ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقرأ ﴿يَقْبُضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥] واختاره الطبري (٢). وعن ابن زيد أيضا ومجاهد (٣) وبتادة والحسن ﴿أَغْنَىٰ﴾ مول ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ أخدم. وقيل: ﴿وَأَقْنَىٰ﴾ جعل لكم قنينة تقتنونها، وهو معنى أخدم أيضا. وقيل: معناه أرضى بما أعطى أي أغناه ثم رضاه بما أعطاه؛ قاله ابن عباس (٤).

وقال الجوهري: قنَى الرجل يُقْنِي قِنِي؛ مثل غَنِي يَغْنِي غِنَى، وأقناه الله أي أعطاه الله ما يقتني من القنينة والنسب. وأقناه الله أيضا أي رضاه. والقنى الرضا، عن أبي زيد قال: وتقول العرب: من أعطني مائة من المعز فقد أعطني القنى، ومن أعطى مائة من الضأن فقد أعطني الغنى، ومن أعطى مائة من الإبل فقد أعطني المنى. ويقال: أغناه الله وأقناه أي أعطاه ما يسكن إليه. وقيل: ﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي أغنى نفسه وأفقر خلقه إليه؛ قاله سليمان التيمي. وقال سفيان: أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا. وقال الاخفش: أقنى أفقر. قال ابن كيسان: أولد. وهذا راجع لما تقدم. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ الشِّعْرَى الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجوزاء، وطلوعه في شدة الحر، وهما الشعران العبور التي في الجوزاء والشِّعْرَى الغميصاء التي في الذراع؛ وتزعم العرب أنهما أختا سهيل. وإنما ذكر أنه رب الشعرى وإن كان ربا لغيره؛ لأن العرب كانت تعبده؛ فأعلمهم الله جل وعز أن الشِّعْرَى مربوب ليس برب. واختلف فيمن كان يعبده؛ فقال السدي: كانت تعبده حمير وخزاعة. وقال غيره: أول من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبي ﷺ من قبل أمهاته، ولذلك كان مشركو قريش يسمون النبي ﷺ ابن أبي كبشة حين دعا إلى الله وخالف أديانهم؛ وقالوا: ما لقينا من ابن أبي كبشة! وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضائق وعساكر رسول الله ﷺ تمر عليه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (٥). وقد كان من لا يعبد الشِّعْرَى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم، قال الشاعر:

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٥٨).

(٢) كذا عند الطبري في تفسيره (٢٧ / ٨٠).

(٣) ضعيف إلى مجاهد: في إسناده ليث بن أبي سليم: ضعيف. الطبري في تفسيره (٢٧ / ٨٠)، وهو صحيح إلى بتادة الحسن.

(٤) ضعيف إلى ابن عباس: الطبري (٢٧ / ٧٩) من طريق العوفيين.

(٥) جاء في الكافي الشافعي (ص ١٦١) قول الحافظ ابن حجر بعد أن ساق هذه الرواية فقال: «وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ: أبو كبشة تشبها له برجل من أشرفهم يقال له: أبو كبشة. وهذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة كما في حديث أبي سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر» يعني هزقل. هـ.

مَضَى أَيْلُولٌ وَارْتَفَعَ الْحَرُّورُ وَأُخْبِتْ نَارَهَا الشُّعْرَى الْعُبُورُ

وقيل: إن العرب تقول في خرافاتها: إن سهيلا والشُّعْرَى كانا زوجين، فانحدر سهيل فصار يمانيا، فاتبعتة الشعري العبور فعبرت المجرة فسميت العبور، وأقامت الغميصاء فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عينها فسميت غميصاء لأنها أخفى من الأخرى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ سماها الأولى لأنهم كانوا من قبيل ثمود. وقيل: إن ثمود من قبيل عاد. وقال ابن زيد: قيل لها: عاد الأولى لأنها أول أمة أهلكت بعد نوح عليه السلام. وقال ابن إسحاق: هما عادان: فالأولى أهلكت بالريح الصرصر، ثم كانت الأخرى فأهلكت بالصيحة. وقيل: عاد الأولى هو عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى؛ والمعنى متقارب.

وقيل: إن عاد الآخرة الجبارون وهم قوم هود. وقراءة العامة ﴿عَادًا الْأُولَى﴾ ببيان التنوين والهمز. وقرأ نافع وابن محيصن وأبو عمرو «عاد الأولى» بنقل حركة الهمزة إلى اللام وإدغام التنوين فيها (١)، إلا أن قالون والسوسي يظهران الهمزة الساكنة. وقلبا الباقون واوا على أصلها؛ والعرب تقلب هذا القلب فتقول: قم الان عنا وضمُّ لثنين أي قم الآن وضم الاثنين. ﴿وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى﴾ ثمود هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة. قرئ: «تُمُودًا» و ﴿وَتَمُودًا﴾ وقد تقدم. وانصب على العطف على عاد. ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ مِّن قَبْلِ﴾ أي وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَى﴾ وذلك لطول مدة نوح فيهم، حتى كان الرجل فيهم يأخذ بيد ابنه فينتقل إلى نوح عليه السلام فيقول: أحذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد مشى بي إلى هذا وقال لي مثل ما قلت لك؛ فيموت الكبير على الكفر، وينشأ الصغير على وصية أبيه.

وقيل: إن الكناية ترجع إلى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح؛ أي كانوا أكفر من مشركي العرب وأطغى. فيكون فيه تسلية وتعزية للنبي ﷺ؛ فكأنه يقول له: فاصبر أنت أيضا فالعاقبة الحميدة لك. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يعني مدائن قوم لوط عليه السلام اتسفتك بهم، أي انقلبت وصار عاليها سافلها. يقال: أفكته أي قلبته وصرفته. ﴿أَهْوَى﴾ أي خسف بهم بعد رفعها إلى السماء؛ رفعها جبريل ثم أهوى بها إلى الأرض. وقال المبرد: جعلها تهوي. ويقال: هوى بالفتح يهوي هويًا أي سقط و ﴿أَهْوَى﴾ أي أسقط. ﴿فَفَشَاهَا مَا غَشَّى﴾ أي ألبسها ما ألبسها من الحجارة؛ قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤].

وقيل: إن الكناية ترجع إلى جميع هذه الأمم؛ أي غشاها من العذاب ما غشاها، وأبهم لأن كلا منهم أهلك بضرب غير ما أهلك به الآخر. وقيل: هذا تعظيم الأمر. ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ أي فبأي نعم ربك تشك. والمخاطبة للإنسان المكذب. والآلاء النعم واحدها ألى وإلى وإلى. وقرأ يعقوب «تمارى» بإدغام إحدى التاءين في الأخرى والتشديد.

(١) قراءة سبعة متواترة: الإقناع (٢/ ٧٧٥).

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ ﴿ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾ ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ ﴿ أَقْمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ ﴾ ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ ﴿ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ ﴿ ﴿

قوله تعالى: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ قال ابن جريج ومحمد بن كعب: يريد أن محمدا ﷺ نذير بالحق الذي أنذر به الأنبياء قبله، فإن أطمعتموه أفلحتم، وإلا حل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة. وقال قتادة: يريد القرآن، وأنه نذير بما أنذرت به الكتب الأولى (١). وقيل: أي هذا الذي أخبرنا به من أخبار الأمم الماضية الذين هلكوا تخويف لهذه الأمة من أن ينزل بهم ما نزل بأولئك من النذر أي مثل النذر؛ والنذر في قول العرب بمعنى الإنذار كالنكر بمعنى الإنكار؛ أي هذا إنذار لكم. وقال أبو مالك: هذا الذي أنذرتكم به من وقائع الأمم الخالية هو في صحف إبراهيم وموسى (٢). وقال السدي: أخبرني أبو صالح قال: هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴾ ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ ﴿ [النجم: ٣٧] إلى قوله: ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ كل هذه في صحف إبراهيم وموسى.

قوله تعالى: ﴿ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾ أي قربت الساعة ودنت القيامة. وسماها آرفة لقرب قيامها عنده؛ كما قال: ﴿يُرَوِّهُ بَعِيدًا ﴾ ﴿ وَنَوَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٧] وقيل: سماها آرفة لدنوها من الناس وقربها منهم ليستعدوا لها؛ لأن كل ما هو آت قريب.

قال [النابعة]:

أَرَفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَبْنَا لَمَّا نَزَلَ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ

وفي الصحاح: أَرَفَ التَّرْحُلَ يَأْرَفُ أَرْفًا أَي دَنَا وَأَفَدَ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَرَفَتِ الْأَرْفَةَ ﴾ يَعْنِي الْقِيَامَةَ، وَأَرَفَ الرَّجُلُ أَي عَجَلَ فَهُوَ أَرَفٌ عَلَى فَاعِلٍ، وَالْمَتَّأَرَفُ الْقَصِيرُ وَهُوَ الْمَتَدَانِي. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: قُلْتُ لِأَعْرَابِيٍّ: مَا الْمَحْبِنُطِيُّ؟ قَالَ: الْمَتَكَائِيُّ. قُلْتُ: مَا الْمَتَكَائِيُّ؟ قَالَ: الْمَتَّأَرَفُ. قُلْتُ: مَا الْمَتَّأَرَفُ؟ قَالَ: أَنْتَ أَحْمَقُ وَتَرْكَنِي وَمَر. ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أَي لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ يُؤَخِّرُهَا أَوْ يَقْدِمُهَا. وَقِيلَ: كَاشِفَةٌ أَي انْكَشَافٌ، أَي لَا يَكْشِفُ عَنْهَا وَلَا يَبْدِيهَا إِلَّا اللَّهُ؛ فَالْكَاشِفَةُ اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ وَالْهَاءُ فِيهِ كَالْهَاءِ فِي الْعَاقِبَةِ وَالْعَاقِيَةِ وَالِدَاهِيَةِ وَالْبَاقِيَةِ؛ كَقَوْلِهِمْ: مَا لِفُلَانٍ مِنْ بَاقِيَةِ أَي مِنْ بَقَاءِ.

وقيل: أي لا أحد يرد ذلك؛ أي إن القيامة إذا قامت لا يكشفها أحد من ألهتهم ولا ينجيهم غير الله تعالى. وقد سميت القيامة غاشية، فإذا كانت غاشية كان ردها كشفًا، فالكاشفة على هذا نعت مؤنث محذوف؛ أي نفس كاشفة أو فرقة كاشفة أو حال كاشفة. وقيل: إن ﴿ كَاشِفَةٌ ﴾ بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية.

قوله تعالى: ﴿ أَقْمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعني القرآن. وهذا استفهام توبيخ ﴿ تَعْجِبُونَ ﴾ تكذيبا به ﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ استهزاء ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ انزجارا وخوفا من الوعيد. وروي أن النبي ﷺ ما رثي بعد نزول

(١) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٧ / ٨٠) في تفسيره.

(٢) ضعيف: السابق (٢٧ / ٨٠)، وفيه ابن حميد وهو متهم بالكذب.

هذه الآية ضاحكا إلا تبسما (١). وقال أبو هريرة: لما نزلت: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ قال أهل الصفة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة]، ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم، فلما سمع النبي ﷺ بكاءهم بكى معهم فبكينا لبكائه؛ فقال النبي ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مُصِرًّا على معصية الله، ولو لم تذبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذبون فيغفر لهم ويرحمهم إنه هو الغفور الرحيم» (٢). وقال أبو حازم: نزل جبريل على النبي ﷺ وعنده رجل يبكي، فقال له: من هذا؟ قال: «هذا فلان»؛ فقال جبريل: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله تعالى ليطفي بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم (٣). ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ أي لاهون معرضون، عن ابن عباس؛ رواه الوالبي والعمري عنه (٤). وقال عكرمة (٥) عنه: هو الغناء بلغة حمير؛ يقال: سَمَدٌ لنا أي غن لنا، فكانوا إذا سمعوا القرآن يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا. وقال الضحاك: ﴿سَامِدُونَ﴾ شامخون متكبرون (٦). وفي الصحاح: سمد سمودا رفع رأسه تكبرا وكل رافع رأسه فهو سامد؛ قال [رؤبة]:

سَوَامِدُ اللَّيْلِ خِفَافُ الْأَزْوَادِ

يقول: ليس في بطونها علف. وقال ابن الأعرابي: سَمَدَتِ سُمُودًا علوت. وَسَمَدَتِ الْإِبِلُ فِي سِيرهَا جَدَت. وَالسُّمُودُ اللَّهْوُ، وَالسَّامِدُ الْإِلَهِيُّ؛ يُقَالُ لِلْقَيْنَةِ: أَسْمَدِينَا؛ أَي الْهَيْبِنَا بِالْغِنَاءِ. وَتَسْمِيدُ الْأَرْضِ أَنْ يُجْعَلَ فِيهَا السَّمَادُ وَهُوَ سَرَجِينٌ وَرِمَادٌ. وَتَسْمِيدُ الرَّأْسِ اسْتِثْهَالُ شَعْرِهِ، لَغَةٌ فِي التَّسْمِيدِ. وَاسْمَادُ الرَّجُلِ بِالْهَمْزِ اسْمُئِدَادًا أَي وَرَمَ غَضْبًا. وَرَوَى عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ مَعْنَى ﴿سَامِدُونَ﴾ أَنْ يُجْلِسُوا غَيْرَ مُصَلِّينَ وَلَا مُتَطَهِّرِينَ الصَّلَاةَ (٧). وَقَالَ الْحَسَنُ: وَأَقْفُونَ لِلصَّلَاةِ قَبْلَ وَقُوفِ الْإِمَامِ؛ وَمَنْهُ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ خَرَجَ وَالنَّاسُ يَنْتَظِرُونَهُ قِيَامًا فَقَالَ: «مَالِي أَرَاكُم سَامِدِينَ» حَكَاهُ الْمَأْرُودِيُّ (٨). وَذَكَرَهُ الْمَهْدُودِيُّ عَنْ عَلِيٍّ، وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَرَأَى النَّاسَ قِيَامًا يَنْتَظِرُونَهُ فَقَالَ: «مَالِكُم سَامِدُونَ»؛ قَالَهُ الْمَهْدُودِيُّ. وَالْمَعْرُوفُ فِي اللَّغَةِ: سَمَدٌ يَسْمُدُ سُمُودًا إِذَا لَهَا وَأَعْرَضُ. وَقَالَ الْمَبْرَدُ: ﴿سَامِدُونَ﴾ خَامِدُونَ؛ قَالَ الشَّاعِرُ:

أَتَى الْخِدْنَانَ نُسُوءَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدُورٍ سَمَدَنْ لَهُ سُمُودًا

وقال صالح أبو الخليل: لما قرأ النبي ﷺ: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠)

- (١) مرسل: عزاه السيوطي في الدر (١٧٣/٦) لابن أبي شيبة وأحمد وهناد في الزهد.
- (٢) ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً: البيهقي في الشعب (٤٨٩ / ١) وهو محمد بن يونس: متهم بالكذب وضاع.
- (٣) مرسل وهو ضعيف جداً، وانظر التالي.
- (٤) منقطع من طريق الوالبي، وضعيف من طريق العمريين. الطبري (٢٧ / ٨٥، ٨٦) في تفسيره.
- (٥) صحيح إليه: الطبري (٢٧ / ٨٥) في تفسيره.
- (٦) ضعيف: منقطع بين الضحاك وابن عباس. السابق (٢٧ / ٨٦).
- (٧) حسن: السابق (٢٧ / ٨٧).
- (٨) السابق (٢٧ / ٨٧)، وانظر: المأوردى في النكت والعيون (٥ / ٤٠٧).

وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ لم ير ضاحكا إلا مبتسما حتى مات ﷺ (١) ذكره النحاس .  
 قوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ قيل: المراد به سجود تلاوة القرآن. وهو قول ابن مسعود. وبه  
 قال أبو حنيفة والشافعي. وقد تقدم أول السورة من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ سجد فيها وسجد  
 معه المشركون (٢). وقيل: إنما سجد معه المشركون لأنهم سمعوا أصوات الشياطين في أثناء قراءة  
 رسول الله ﷺ عند قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿٦١﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٢٠] وأنه قال: تلك  
 الغرائيق العلاء وشفاعتهن ترنجي. كذا في رواية سعيد بن جبير: ترنجي. وفي رواية أبي العالية:  
 وشفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا ينسى. ففرح المشركون وظنوا أنه من قول محمد ﷺ على ما تقدم  
 بيانه في «الحج» (٣). فلما بلغ الخبر بالحبشة من كان بها من أصحاب النبي ﷺ رجعوا ظنا منهم أن  
 أهل مكة آمنوا؛ فكان أهل مكة أشد عليهم وأخذوا في تعذيبهم إلى أن كشف الله عنهم (٤). وقيل:  
 المراد سجود الفرض في الصلاة وهو قول ابن عمر؛ كان لا يراها من عزائم السجود. وبه قال مالك.  
 وروى أبي بن كعب رضي الله عنه: كان آخر فعل النبي ﷺ ترك السجود في المفصل. والأول أصح،  
 وقد مضى القول فيه آخر «الأعراف» (٥) مينا، والحمد لله رب العالمين.  
 تم تفسير سورة «النجم» .

(١) ضعيف جداً إن لم يكن موضوعاً: وقد سبق .

(٢) صحيح: وقد سبق في أول سورة .

(٣) عند الآية (٥٢) .

(٤) قلت: وقصة الغرائيق هذه قصة منحولة مكذوبة، ولو صحت لصح قول الزنادقة بتسلط الشيطان على الأنبياء،  
 وهو قول مخالف لصريح القرآن، وبذلك يثبت أن الشرع مزيج بين تنزيل الوحي، وتخليط الشيطان، وقد  
 انتهت النبوة وختمت، وهو عين مراد الكفار والزنادقة .  
 والقصة منحولة مكذوبة، واهية الأسانيد .

وقال ابن كثير - رحمه الله في تفسيره (٥ / ٣٢٤) : «رويت من طرق كلها مرسله، ولم أرها مستندة من وجه  
 صحيح، والله أعلم» .

وانظر للأهمية رسالة (نصب المنتجيق لنسف قصة الغرائيق) للعلامة الألباني - رحمه الله ونسقتها القاضي  
 عياض في الشفا (١١٦ / ٢) ، وضعف البزار حديثها، وذكرها القاضي ابن العربي المالكي وكذا نقل محمد بن  
 إسحاق بن خزيمة، وانظر تفسير الألوسي وغيره لتبيان وضع هذه القصة .

(٥) عند الآية (١٠٦) من سورة الأعراف .